حـــــــوار

الازمة الحقيقية لنظام الاحزاب فى مصر ، انه نظام نشأ بارادة .. وقرار .. الحزب الواحد ..!!

فالاتحاد الاشتراكى ـ ممثلا فى رئيسه ـ هو الذى اقترح نظام تعدد الاحزاب ، وهو ـ بأغلبيته ـ الذى عدل الدستور والقانون ليسمح بقيام الاحزاب ، بعد أن كان الدستور ينص على أن الاتحاد الاشتراكى هو الذى يمثل (قوى الشعب العامل) ويحمى ـ بهذا التحالف ـ المبادىء التى قامت من أجلها الثورة ..!!

وكان من البديهى أن الحزب الواحد ، وهو يعبر عن ارادته ، ويصدر (قراره) بتعدد الاحزاب ، لا يقصد أن يمس النظام الجديد لتعدد الاحزاب بوضعه هو ، أو (بامتيازه) هو فى تولى السلطة ـ والاحتفاظ بها ـ اكبر عدد ممكن من السنين ..!!

فالحزب الواحد اراد بنظام تعدد الاحزاب (ديكورا) ديموقراطيا يساعده على الاحتفاظ بالحكم ، ولم يخطر بباله أن يكون هذا النظام منافسا حقيقيا له فى (امتيازه) بالانفراد بالحكم ..!!

لذلك ، فان الحزب الواحد ، حتى فى التعديلات الدستورية التى أجراها ، حرص على أن يحيط نفسه بكل الضمانات ، فاشترط لقيام الاحزاب :

- أن تكون برامجها فى اطار الديموقراطية والاشتراكية ..
- ألا تقوم الاحزاب الجديدة على أساس دينى أو طبقى ، وألا تتناقض مع الوحدة الوطنية أو السلام الاجتماعى ..
- أن تكون مؤيدة لاتفاقيات كامب دافيد ، ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ..
- وأخيرا .. اشترط الحزب الحاكم أن تقوم لجنة الاحزاب ، التى يسيطر على أغلبية أعضائها ، بقبول أو رفض قيام الاحزاب الجديدة ..!!

وبذلك لم يترك الحزب الواحد ، للاحزاب الجديدة التى (يسمح) بقيامها ، مجالا للحركة الا داخل الاطار الذى اختاره هو وحدد رقعته وابعاده ..!!

وفى هذا (الاطار) قامت أحزاب المعارضة ، لكنها ما لبثت بعد وقت قصير من قيامها ان كونت نظرتها (المستقلة) لبعض القضايا الهامة، التى يحتمها العمل الوطنى ، والممارسة الحزبية ..

- فحددت ـ مثلا ـ موقفها من الفلسفة الاقتصادية للمجتمع .
- وحددت ـ مثلا ـ موقفها من قضية الديموقراطية ذاتها ..
- وحددت ـ مثلا ـ رأيها فى علاقات مصر الدولية ..

وفى مواجهة هذه المتغيرات الجديدة ، اضطر الحزب الحاكم الى ادخال تعديل على (الديكور) الحزبى ، فأصدر ـ استنادا الى أغلبيته أيضا ـ قانون الانتخاب الجديد ، الذى تحول به الى نظام القوائم الحزبية بدلا من الانتخاب بطريقة الدوائر حتى (يفتت) احزاب المعارضة ، ويعود (وحده) للسيطرة من جديد على الساحة السياسية ..!!

وبالرغم من أن أحزاب المعارضة كانت تعلم ـ منذ البداية ـ بمحاولات الحزب الحاكم (لتحجيم) نشاطها ، وكانت تفطن جيدا لهذه المحاولات ، الا أنها تمسكت بالفرصة التى اتيحت لها باعتبارها مجرد بداية على طريق طويل ، لا بد له من خطوة أولى ..

وسوف تظل الساحة السياسية لعدة سنوات قادمة تشهد مناورات كثيرة بين حزب (واحد) يريد الاحتفاظ بالحكم فى ظل (ديكور) ديموقراطى ـ لا يؤثر عليه ولكن يضيف اليه ـ وبين أحزاب معارضة تجاهد ـ فى أصعب الظروف ـ من أجل اعطاء الديموقراطية مضمونا حقيقيا فى اطار الشرعية وسيادة القانون ..!!

وعلى غير ما يعتقد الحزب (الواحد) فان الزمن يجرى فى صالح أحزاب المعارضة ..

- فنظام تعدد الاحزاب أصبح جزءا من النظام السياسى فى مصر ، لا يسهل ضربه .. أو الرجوع فيه ..
- والممارسة الحزبية ـ على قصرها ـ قد أفرزت قيادات حزبية معارضة تتمسك بقضية الديموقراطية وليست مستعدة للتنازل عنها ، وليست مستعدة ايضا ان تكون مجرد (ديكور) ..
- والوعى الشعبى وصل الى درجة يستطيع معها أن يكشف كل محاولات السيطرة والاحتواء التى يمارسها الحزب الحاكم وأجهزته .

ولم يبق أمام الحزب (الواحد) الا أن يسلم بأن (الفن المسرحى الحديث) لم يعد يعتمد على (الديكور) بقدر اعتماده على (المضمون) ..!!

احمد طلعت